معتمدو الملك عبدالعزيز ووكلاؤه في الخارج(*)

أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي
مكتبة الملك فهد الوطنية

المقدمة

قبل استرداد الملك عبدالعزيز آل سعود الرياض، ثم توحيده للمملكة العربية السعودية؛ كان الأمن مضطربًا وغير مستقر، إذ إن المدن وكبريات القرى يحكمها أمراء أو رؤساء قبائل وعشائر ولهم ولاءات مختلفة. وكثيرًا ما تغير القبائل القوية على مثيلاتها الضعيفة... إلا أن الأحلاف بين القبائل قد تحد أحيانًا من هذه الخلافات والاضطرابات. والحروب فيما بينها كثيرًا ما تستعر، فيبدأ المهزوم بحشد أنصاره وجمع أسلحته للأخذ بالثأر... حتى قيض الله الإمام عبدالعزيز آل سعود لاسترداد الرياض. وهكذا بدأ تجميع شتات الجزيرة العربية التي أصبحت فيما بعد المملكة العربية السعودية.

(*) أزجي جزيل الشكر والثناء إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز على رعايته للتاريخ والباحثين فيه، كما أشكر دارة الملك عبدالعزيز على ترشيحي لجائزة ومنحة الأمير سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، ممثلة في أمينها العام معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري، والشكر موصول لكل من أسهم في أن يرى هذا البحث النور والضياء.

بدأ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود منذ دخوله الرياض - في الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ/ الخامس عشر من شهر يناير ١٩٠٢م - في بناء الوطن من خلال توحيده لمدن نجد وقراها وما جاورها، وكان يدعى بسلطان نجد، بعد ضمه عسير وحائل أصبح يسمى سلطان نجد وملحقاتها.

وفي عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وفي العام التالي ضم إليها بقية مناطق الحجاز، وأصبح يلقب بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها. وفي عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م أصبح اسم الدولة (المملكة العربية السعودية).

وقد بدأ الاهتمام بالتمثيل الدبلوماسي في المملكة العربية السعودية بعد انضمام مدينة جدة إلى سلطة الملك عبدالعزيز في السابع من شهر جمادى الثانية عام ١٣٤٤هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥م، فقد أنشئت مديرية خاصة بالشؤون الخارجية مقرها الرئيسي في مكة المكرمة باسم (مديرية الشؤون الخارجية) ولها فرع بجدة.

وبعد خمس سنوات - في السادس والعشرين من شهر رجب عام ١٣٤٩هـ - حولت المديرية إلى وزارة هي (وزارة الخارجية) وهي ثاني وزارة أنشئت - بعد وزارة المالية - في عهد الملك عبدالعزيز بصفة رسمية. وعين الأمير فيصل وزيرًا لها - إضافة إلى عمله في النيابة العامة - كما عين فؤاد حمزة وكيلاً للخارجية[١]. وقد حرص جلالة الملك عبدالعزيز على اعتراف

(١) انظر: التمثيل الدبلوماسي القنصلي بين المملكة والعالم الخارجي، طلال محمد نور عطار، ١٤٠٩هـ، ص٢٨-٣٠.

الدول الأوربية ببلاده على أنها كيان مستقل، وكان يتَّبع سياسة ترمي إلى إيجاد توازن بين تلك الدول الأوربية، وحماية مصالحه(٢).

وكان أن اعترفت به الحكومة السوفيتية ملكًا على الحجاز في شعبان ١٣٤٤هـ/ فبراير ١٩٢٦م، تبعها اعتراف بريطانيا. وهكذا توالت الاعترافات، وبدأ التمثيل الدبلوماسي بمفهومه الصحيح بافتتاح أول سفارة للمملكة في لندن في ٢٠ صفر ١٣٤٩هـ/ ٢١ يونيو ١٩٣٠م. وعين حافظ وهبة وزيرًا مفوضًا ثم رفع فيما بعد إلى درجة سفير.

كان الملك عبدالعزيز هو الذي يتولى بنفسه الاتصالات والمفاوضات مع كثير من البلدان التي لها علاقة بالبلاد التي يضمها إلى حكمه، وبعد ضم الحجاز أصبح هناك جهة مسؤولة عن الشؤون الخارجية.

كان الملك عبدالعزيز يعتمد على بعض أقاربه ومستشاريه للقيام بالاتصال بالدول ومفاوضتهم لحل المشكلات التي قد تعترض العلاقة بينهما؛ لانشغال جلالته في الأعمال الإدارية والعمليات الحربية، ومن بين هؤلاء نذكر: الأمير أحمد بن ثنيان آل سعود أول مساعد لجلالته في إدارة الشؤون الخارجية، وقد حضر التوقيع على معاهدة القطيف في ١٩ صفر ١٣٣٤هـ/ ٢٦ ديسمبر عام ١٩١٥م ورحل بمعية الأمير فيصل عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م إلى أوروبا والكويت والعراق في مهام سياسية. وكان يعاونه الدكتور عبدالله الدملوجي الذي

(٢) انظر: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، فهد بن عبدالله السماري وآخرون، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٨.

شارك أيضًا في مفاوضات العقير عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م الخاصة بتحديد الحدود بين نجد والكويت. إضافة إلى السيد حمزة غوث، والشيخ حافظ وهبة، والشيخ يوسف ياسين الذي تولى مديرية الشؤون الخارجية من المحرم ١٣٤٥هـ بعد الدكتور عبدالله الدملوجي. وكان الشيخ عبدالعزيز العتيق يتولى المديرية في غياب الدملوجي ويوسف ياسين.

تولى المديرية بعدهم الشيخ فؤاد حمزة من شهر المحرم عام ١٣٤٧هـ، واستمر يديرها حتى تحولت المديرية إلى وزارة في ٢٦ رجب ١٣٤٩هـ فأصبح وكيلاً للخارجية(٣).

ويذكر محمد المانع أن قصة الوكلاء أو المعتمدين بدأت في بداية تأسيس المملكة وتوحيدها، إذ لم تكن المؤسسات السياسية قد تشكلت، واتخذت سفارات للمملكة في الخارج: إذ إنه قبل ضم الملك عبدالعزيز للحجاز "لم يكن له قناصل رسميون أو ممثلون دبلوماسيون في الدول الأجنبية، وكان التجار النجديون المستقرون في تلك الدول يعملون بصفتهم وكلاء له، وكان جلالته يختار من هؤلاء من أمضوا فترة طويلة في مكان معين واشتهروا بالأمانة والصدق والنزاهة الأخلاقية. وكان من يختاره منهم لا يستلمون أجورًا على ما يقومون به من خدمات، لكنهم كانوا يكسبون بكونهم وكلاء للملك زيادة في مكانتهم الاجتماعية ومزايا في تعاملهم التجاري. وكان من النجديين المشهورين الذين كانوا وكلاء للملك خارج بلادهم الشيخ فوزان السابق في القاهرة،

---

(٣) انظر: التمثيل الدبلوماسي والقنصلي، مرجع سابق، ص٣٩.

وعبداللطيف باشا المنديل في بغداد والبصرة، والشيخ عبدالله النفيسي في الكويت، والشيخ عبدالله الفوزان في بومبي، والشيخ رشيد بن ليلى في دمشق، والشيخ عبدالرحمن القصيبي في البحرين. وقد بذل هؤلاء الرجال جهدًا عظيمًا لصالح بلادهم في الخارج..."(٤).

وقد أنشئت في عهد الملك عبدالعزيز تسع سفارات وثماني مفوضيات، وخمس قنصليات وهي:

١- سفارة المملكة في لندن، وترأسها الشيخ حافظ وهبة وزيرًا مفوضًا في ٢٠ صفر ١٣٤٩هـ/٢١ يونيو ١٩٣٠م.

٢ - سفارة المملكة في واشنطن، وترأسها الشيخ عبدالله الخيال، وقد حل محل الشيخ أسعد الفقيه الذي كان وزيرًا مفوضًا في واشنطن عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

٣ - سفارة المملكة في القاهرة، وترأسها الشيخ عبدالله بن إبراهيم الفضل الذي عين وزيرًا مفوضًا في القاهرة عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ثم رفع إلى درجة سفير فيما بعد، وكان يرأس هذه السفارة قبله الشيخ فوزان السابق قائمًا بالأعمال في شهر صفر ١٣٥٥هـ/ يونيو ١٩٣٦م، [وكان مقره يسمى الوكالة العربية] .

٤ - سفارة المملكة في دمشق، وترأسها الشيخ عبدالعزيز بن زيد، وكان قد عين وزيرًا مفوضًا في دمشق سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م)، ورفع إلى مرتبة سفير في ذي القعدة سنة ١٣٧١هـ،

(٤) توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المانع، ترجمة عبدالله العثيمين، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٤٦-٢٤٧.

وكانت هناك قنصلية قبل ذلك إذ عين آنذاك رشيد باشا الناصر - ابن ليلى - قنصلاً للمملكة العربية السعودية في دمشق في ١٦ المحرم ١٣٥٢هـ الموافق ١١ مايو ١٩٣٣م.

٥ - سفارة المملكة في باريس، ترأسها صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز خلفًا للدكتور رشاد فرعون الذي تولى أعمال السفارة في ١٩ المحرم ١٣٧٢هـ/١٩ أكتوبر ١٩٥٢م.

٦ - سفارة المملكة في بيروت، وترأسها الشيخ عبدالعزيز الكحيمي الذي عين وزيرًا مفوضًا في بيروت في سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ورفع إلى رتبة سفير في سنة ١٣٧٦هـ.

٧ - سفارة المملكة في مدريد، وترأسها الدكتور مدحت شيخ الأرض.

٨ - سفارة المملكة في كراتشي، وترأسها الشيخ عبدالرحمن البسام.

٩ - سفارة المملكة في طهران، وترأسها السيد حمزة غوث.

أما المفوضيات التي أنشئت في عهده فهي كما يلي:

- مفوضية في جاكرتا، وترأسها الشيخ عبدالرؤوف الصبان.
- مفوضية في عمَّان، وقام بالأعمال فيها الشيخ أحمد الكحيمي.
- مفوضية في أنقرة، وترأسها الشيخ توفيق حمزة.
- مفوضية في روما، وترأسها الشيخ موفق الألوسي.
- مفوضية في مكسيكو، وترأسها الشيخ أسعد الفقيه السفير في واشنطن.

- مفوضية في دلهي، وترأسها الشيخ يوسف الفوزان (ابن عبدالله الفوزان، معتمد الملك عبدالعزيز في بومبي، وقد سبقت الإشارة إليه).
- مفوضية في كابول، وترأسها الشيخ فؤاد الخطيب.
- مفوضية في بغداد، وترأسها الشيخ عبدالله الخيال قبل أن ينقل سفيرًا في واشنطن.

وترأس المفوضية السعودية آنذاك قائم بالأعمال هو الشيخ محمد المطلق، وقبله الشيخ إبراهيم بن معمر الذي عين في ٣٠ المحرم ١٣٥٢هـ/ ٢٥ مايو ١٩٣٣م.

أما القنصليات التي أنشئت للمملكة العربية السعودية في الخارج في عهده فهي:

- قنصلية في الإسكندرية، وترأسها الشيخ طلعت ناظر.
- قنصلية في السويس، وترأسها الشيخ عبدالفتاح العسكري.
- قنصلية في البصرة، وترأسها الشيخ محمد الحمد الشبيلي.
- قنصلية في نيويورك، وترأسها الشيخ إبراهيم بكر.
- قنصلية في القدس، وترأسها الشيخ محمد المنصوري(٥).

"وقد كان إشراف الملك عبدالعزيز شخصيًا ومباشرًا على كل مجريات السياسة الخارجية، وعلى نشاط وزارة الخارجية، ولم تكن الوزارة لتبرم أمرًا دون الرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة، تستهدي برأيه، ولا تنحرف عن أوامره وتوجيهاته، فالملك هو

(٥) التمثيل الدبلوماسي والقنصلي، مرجع سابق، ص٥١- ٥٥.

الرئيس المباشر والمرجع النهائي في الشؤون الخارجية، الأمر الذي أدى إلى اكتساب الدبلوماسية السعودية درجة عالية من الخبرة والحكمة والمران، إلى جانب عنصر الاستمرارية والانسجام وعدم التضارب والتناقض في إدارة العمل الدبلوماسي"[٦].

لعل ما سبق يعتبر مدخلاً للحديث عن شخصيات مهمة أدت دورًا مساندًا لما كان يقوم به الملك المؤسس، وهم وكلاؤه ومعتمدوه في الخارج، قبل أن يعرف ما يسمى بالسفارات أو القنصليات حديثًا. وهم:

١ - رُشَيِّد بن ليلى، معتمد الملك عبدالعزيز في سورية.

٢ - عبدالله بن حمد النفيسي، معتمد الملك عبدالعزيز في الكويت.

٣ - عبدالله بن محمد الفوزان، معتمد الملك عبدالعزيز في الهند.

٤ - عبدالرحمن بن حسن القصيبي، معتمد الملك عبدالعزيز في البحرين.

٥ - عبداللطيف المنديل، معتمد الملك عبدالعزيز في العراق والبصرة.

٦ - فوزان السابق، معتمد الملك عبدالعزيز في مصر.

حيث تناولت كل واحد منهم بالحديث عن نسبه، ونشأته، وأعماله، ودوره وكيلاً عن الملك عبدالعزيز، وأخلاقه وصفاته، واستعرضت ما أنجب من أبناء.

ولعل أصعب ما واجهني في الكتابة عن هؤلاء الأعلام شح المعلومات عنهم، وتكرارها في أغلب المصادر، فحاولت جهدي

(٦) موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.

أن أفحصها جميعًا وأمايز بينها، وأقدم السابق على اللاحق، والمنقول عنه على الناقل، وحاولت أيضًا الاستعانة بالمصادر الشفهية، فاتصلت بأبناء المترجم لهم، أو أحفادهم، أو من يمت لهم بصلة قربى، أو كان من معارفهم، فاستكتبتهم عنهم، أو أخذت منهم معلومات شفهية، استفدت منها كثيرًا.

١ - رُشَيْد بن ليلى معتمد الملك عبدالعزيز في سورية (١٢٩٤ - ١٣٦٢هـ/ ١٨٧٧ - ١٩٤٣م)

نسبه ومولده:

هو رُشَيِّد بن ناصر بن رشيد[٧] بن ليلى، ويقال: الليلا[٨]، وأمه: شقراء بنت الشيخ عبدالله الخزام. ولد بمدينة حائل (جبل شمر) عام ١٢٩٤هـ[٩].

(٧) خطاب من حفيده - سبطه - أحمد بن فهد العلي العريفي بتاريخ ١٥/٤/١٤٢٨هـ. وورد عند عبدالرحمن بن علي الزهراني أنه: محمد. انظر المرجع التالي.

(٨) الرشيد الليلا في لبدة فرع من أسرة الليلا التي كانت قديمًا تسكن مغيضة في حائل. وهم أبناء محمد بن ليلا الذي كان من وزراء الأمير محمد بن عبدالمحسن بن علي أمير جبل شمر قديمًا، وممن قُتل معه سنة ١٢٣٤هـ. (متعب بن حمود السبهان). وانظر عنهم: كتاب "الشيخ صالح السالم"، ص١٨. وكان ناصر الرشيد - والد المترجم - ذا احتفاء بالعلم والعلماء، زاهدًا ورعًا، وتولى الأذان في أحد مساجد لبدة مدة تزيد على أربعين سنة، وتوفي - رحمه الله - بحائل سنة ١٣٣٥هـ. انظر: "نساء شهيرات من نجد"، ص ٨٩.

(٩) عبدالرحمن بن علي الزهراني، من رجال الشورى في المملكة العربية السعودية (منذ عام ١٣٤٦-١٤٠١هـ)، ص٥٣.

(١٠) محمد بن عبدالرزاق القشعمي، رشيد بن ليلى: ممثل الملك عبدالعزيز في دمشق، المجلة العربية، ع٣٠٤، (جمادى الأولى ١٤٢٣هـ)، ص٤٧.

أصله من الأفلاج، وتحديدًا من بلدة (ليلى) مركز الأفلاج، جنوب نجد، وسط الجزيرة العربية[١٠].

أما كتاب "موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي" فسماه (رشيد الناصر)[١١]، وورد في مصدر آخر: (ارشيد الناصر)[١٢].

وقال الشيخ علي الهندي: "رُشَيد (بضم أوله وفتح ثانيه) بن ناصر بن ليلا، لا أدري متى ولد"[١٣].

وذكره شكيب أرسلان باسم رشيد باشا النجدي الذي كان معتمدًا لابن رشيد في الآستانة العلية أيام السلطنة العثمانية، وقد ذكر أنه حدثه عن جبلي طيِّئ: أجأ وسلمى[١٤].

تعليمه:

تلقى تعليمه في الكتاتيب بحائل، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في شهر واحد[١٥]، كما كان يحفظ ثلاثمئة حديث من صحيح البخاري، وقرأ على عدد من علماء حائل، منهم أخوه لأمه الشيخ صالح السالم[١٦].

(١١) موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مرجع سابق، ص٥٣٥.

(١٢) نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، ٦/١٧٢.

(١٣) علي بن محمد الهندي، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، ص٢٠، الترجمة رقم (٥٥).

(١٤) شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ١٣٩٧هـ، ص٣٢٢.

(١٥) زهر الخمائل، مرجع سابق، ص٢٠.

(١٦) من رجال الشورى، مرجع سابق، ص٥٣.

صفاته:

عرف ابن ليلى منذ طفولته بالفطنة والذكاء الحاد، ولما كبر جُلَّ واحْتُرِمَ، ثم اعتُمِد عليه في المهمات وحل الإشكالات، حتى طار صيته وملأ الآفاق(١٧).

ومن صفاته الغضب في الحق، وصلابة الإيمان، ولنستمع إلى قصة غضبه حين نيل من الشيخ المصلح محمد بن عبدالوهاب، كما ينقلها فهد المارك: "قل أن نجد مواطنًا من رجال عبدالعزيز حاربه مع خصومه: لم يكن العداء الذي بين آل السعود وآل رشيد عداءً ناشئًا عن خلاف في العقيدة والمذهب، فالجميع سنيون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهم متحدون بإيمانهم بالعقيدة السلفية التي نشرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب القائمة على كتاب الله وسنة نبيه. بل أعتقد أن اتحادهم في العقيدة من أهم العوامل التي أعانت عبدالعزيز على قوة الصلة بهم – فيما بعد –. واتفاق الطرفين في كل ذلك أمر لا خلاف فيه. وأوضح دليل على هذا هو أننا نجد رشيد بن ليلى، وكيل ابن رشيد عند السلطان عبدالحميد التركي، نجده حينما نال شخص من علماء الأتراك من الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثار عليه ابن ليلى وغضب غضبًا شديدًا، وأكد له أن الخلاف بين ابن سعود وبين ابن رشيد خلاف سياسي. وأما العقيدة والمذهب فلا يوجد بين الجانبين أي خلاف فيهما. وما دام العداء بين الرياض وحائل، لم يكن من نوع العداء الذي قال عنه الشاعر:

كل العداوات قد ترجى مودتها   إلا عداوة من عاداك في الدين

(١٧) عبدالله زايد الطويان، رجال في الذاكرة، ١٤١٩هـ، ١١٢/٢.

أجل ما دام الأمر كذلك، فإن من المسَلّم به أنه حال ما يزول ذلك الخلاف ويتم الوئام، فإن العداء بطبيعته سيزول، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن ثمة عيب على المواطن الذي يحارب بالأمس بجانب أحد هذين الحاكمين أن يعود فيحارب الحاكم الثاني الذي كان قد حاربه من قبل. فالوطن واحد، والعقيدة واحدة، والمذهب واحد، واللغة واحدة، والجنس واحد، والعادات والتقاليد واحدة، وحتى اللباس موحد بينهما"[١٨].

ومن صفاته الوفاء والإخلاص؛ ففي إحدى المناسبات التي أقام فيها الشيخ عبدالله الفضل حفل عشاء للملك عبدالعزيز، وحضر الحفل وجهاء البلاد، وكان بينهم ابن ليلى بدأ عبدالعزيز يتحدث كعادته التي يحاول أن يجعل مجلسه مجلسًا شعبيًا بعيدًا عن البروتوكولات...، وفي حديثه هذا قال مشيرًا إلى إصابة بيده: "هذه الإصابة بيدي هي من قنبلة المدفع الذي بعثه هذا الرجل"، مشيرًا إلى ابن ليلى؛ فرد ابن ليلى ظانًا أن عبدالعزيز يلومه أو يؤنبه، وقال: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾[١٩]، فرد عليه الملك عبدالعزيز وقال: "على قود وجهك مع ربعك"!! أي إن عملك هذا من أعمال الأوفياء مع بني قومهم...[٢٠].

(١٨) من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ١٣٩٨هـ، ج١.

(١٩) سورة البقرة، الآية ١٣٤.

(٢٠) من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ١/ ١٦٤-١٦٥.

أعماله ووظائفه:

تنقسم حياة رشيد بن ليلى العملية إلى فترتين ظاهرتين:

أ – الفترة الأولى: عمله مع عبدالعزيز بن رشيد، أمير حائل.

ب – الفترة الثانية: عمله مع الملك عبدالعزيز آل سعود.

أ - عمله مع ابن رشيد:

١- تمثيله لابن رشيد في إستانبول:

حين اشتد عوده، وصار يعتمد عليه في المهمات وحل الإشكالات، وطار صيته وملأ الآفاق، سمع عنه الأمير عبدالعزيز بن متعب الرشيد، أمير حائل فطلبه وقربه إليه، ثم بعثه إلى مجلس المبعوثان(٢١)، في إستانبول ليكون ممثله لدى السلطان العثماني، فمكث هناك ما يقارب عشر سنوات(٢٢). وقد منح خلال إقامته في إستانبول لقب باشا(٢٣).

٢ - توريد السلاح إلى ابن رشيد:

كان من أعماله في أثناء تمثيله لابن رشيد هناك توريده للسلاح الجديد من نوعه آنذاك، وهو البندقية الألمانية الشهيرة، التي عرفت بـ "وارد ابن ليلى" أو كما يسميها

(٢١) مجلس المبعوثان: مجلس البرلمان العثماني. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٩٩.

(٢٢) رجال في الذاكرة، مرجع سابق، ٢/ ١١٢.

(٢٣) المرجع السابق، ص١١٣.

البعض "سلاح ابن ليلى"، وهو أول سلاح حديث جاء إلى جزيرة العرب، وكان مكتوبًا على كل بندقية منها "سعود بن رشيد"، ويقصد به سعود بن عبدالعزيز الرشيد، وكان هذا السلاح يرد من ألمانيا عن طريق تركيا، التي كانت حليفة لها في الحرب العالمية الأولى، وكان عددها (١٠,٠٠٠) بندقية طويلة وقصيرة[٢٤].

لقد كان ابن ليلى وكيلاً لابن رشيد اسمًا وعملاً، أما من حيث الفعل فهو يقوم مقام النائب لعبدالعزيز بن رشيد، الذي منحه ثقة مطلقة لا حدود لها. وهل ثمة ثقة أكبر من أن يوقع عبدالعزيز بن رشيد ختمه على بياض في عدّة دفاتر، ويسلمها لرشيد بن ليلى ليفاوض السلطان التركي نيابة عنه؟

ولم يكن من الصواب عند ابن ليلى أن يأتي عبدالعزيز بن رشيد بالعسكر الأتراك ليحاربوا ابن سعود، بل كان رأيه أن يطلب من السلطان عبدالحميد سلاحًا ومالاً يضاهي تكاليف الدولة، وأكد ابن ليلى لابن رشيد أنه إذا طلب جنودًا من السلطان فإنه أثبت ضعفه أمام الدولة التي لا تحترم الضعيف من ناحية، ومن ناحية ثانية سوف يسخط عليه أهل نجد بجلبه لبلادهم جنودًا من الأتراك، هذا رأي ابن ليلى الذي أصر على تطبيقه. ورفض تنفيذ أمر أميره ابن رشيد، وهذا من شواهد صلابته فيما يؤمن به، ولكن ابن رشيد نفذ أمره عن طريق شخص ببغداد ختم له على بياض، أي سلمه دفترًا فيه أختام الأمير، يقال له الزيبق. وقد ندم ابن رشيد على

(٢٤) خطاب من ابن حفيده - سبطه - أحمد بن فهد العلي العريفي بتاريخ ١٥/٤/١٤٢٨هـ.

عدم أخذه برأي ابن ليلى، فختم له بعد ذلك على بياض[٢٥].

وتذكر الوثائق البريطانية أن الأسلحة التي جلبها ابن ليلى إلى ابن الرشيد هي مدافع ومعدات، يرافقها (٢٥) ضابطًا ألمانيًا وتركيًا، و (٣٠٠) جندي[٢٦].

٣ - تركه حائل وقت حصارها:

وعندما حاصر الملك عبدالعزيز إمارة حائل، اضطر أميرها ابن رشيد إلى مغادرتها والالتحاق بالحامية التركية في الحجر قرب مدائن صالح على سكة حديد الحجاز، أما ابن ليلى فقد ذهب إلى دمشق لمشاورة القيادة التركية العليا حول شؤون ابن رشيد[٢٧].

لقد كانت هذه هي رحلته الأخيرة - ممثلاً لابن رشيد - فقد ضم الملك عبدالعزيز حائل، وانتهت بذلك وكالة ابن ليلى لابن رشيد. لتبدأ معها المرحلة التالية من حياته، التي تأخرت سبع سنين، قضاها غريبًا في تركيا.

ب - مع الملك عبدالعزيز:

١ - لقاؤه مع الملك عبدالعزيز:

بعد سقوط إمارة حائل بقي رشيد بن ليلى في تركيا - في إستانبول - سبع سنوات، ثم أراد أن يعود إلى بلاده، ولكن كيف يعود وبلاده قد أصبحت تحت حكم الملك عبدالعزيز؟

(٢٥) من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ١/ ١٦٢.

(٢٦) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، مرجع سابق، ٢/٧٧٨.

(٢٧) المرجع السابق، ١/ ٧٤٢.

وهو لا يعرف عن نفسه إلا أنه لم يدخر وسعًا من جهده في سبيل نصرة أميره ابن رشيد ضد الملك عبدالعزيز.

وأخيرًا هداه رأيه بأن يكتب رسالة إلى الملك عبدالعزيز يطلب أن يسمح له بزيارة أهله في حائل التي غاب عنها أكثر من سبع سنوات، وكان الرد من الملك عبدالعزيز بالسماح له سريعًا، فجاء عن طريق البحر، وما أن وضع قدمه في أرض الحجاز، حتى ذهب ليسلم على ملك البلاد الذي وجد منه استقبالاً واحترامًا فوق ما كان يحلم به. ليس ذلك فحسب، بل لقد عينه عضوًا في مجلس الشورى؛ فذهب رشيد ونقل عائلته من تركيا إلى السعودية[٢٨].

٢ - في مجلس الشورى:

كانت الإرادة الملكية قد صدرت بحل مجلس الشورى في دورته الثانية اعتبارًا من ١٣٤٩/٢/٢٨هـ، على أن يستمر الأعضاء حتى يتم تشكيل مجلس جديد. وفي يوم ١٣٤٩/٣/٢هـ، صدرت تعيينات أعضاء المجلس الجديد، وتعد السنة الأولى للدورة الثالثة.

وقد تشكل المجلس من (١٤) عضوًا، وفق ما يأتي: الأمير فيصل بن عبدالعزيز، رئيسًا للمجلس. وعضوية كل من: عبدالله الفضل النائب الأول، وصالح شطا، النائب الثاني، وإبراهيم الفضل، وحمزة غوث، ورشيد الناصر بن ليلى، وهو المترجم له هنا: رشيد بن ليلى، وسعود دشيشة، وعبدالله الجفالي، وعبدالله الشيبي، وعبدالوهاب عطار، وعبدالوهاب،

(٢٨) من شيم الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ١/ ١٦٤.

نائب الحرم، وقاسم إسماعيل، ومحمد علي قابل، ومحمد المغيربي، ومصطفى الخطيب.

وكان رشيد بن ليلى أحد ستة أعضاء جدد دخلوا في عضوية المجلس الجديد، واستمر كذلك في عضوية مجلس الشورى لعام ١٣٥٠هـ لسنته الثانية، ولدورته الثالثة، بعدد أعضائه أنفسهم، ونظامه السابق نفسه[٢٩].

٣- قنصل للمملكة في العراق:

بعد عضويته في مجلس الشورى، عين رشيد بن ليلى قائمًا بالأعمال، وقنصلاً عامًا للمملكة لدى العراق في عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ولكنه لم يباشر عمله هناك[٣٠].

٤ - قنصل للمملكة في دمشق:

عين رشيد بن ليلى قنصلاً للمملكة في دمشق في ١٦ المحرم ١٣٥٢هـ/ ١١ مايو ١٩٣٣م، وبقي في منصبه ذلك إلى أن توفي - رحمه الله - بدمشق عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م[٣١].

كان رشيد بن ليلى خلال السنوات العشر التي قضاها معتمدًا للملك في دمشق مضرب المثل في بلاده، واستطاع تقوية أواصر الصداقة والعلاقات القوية بين البلاد السعودية والسورية، وشعبيهما، حتى تنامت التجارة بين الدولتين، وحتى إن العقيلات - التجار النجديين - يعدون فترة

(٢٩) عبدالرحمن الزهراني. مسيرة الشورى في المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ص٨٨-٩٣.

(٣٠) موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مرجع سابق، ص٥٣٥.

(٣١) المرجع السابق.

الخمسينيات الهجرية/ الثلاثينيات الميلادية هي العصر الذهبي لتجارتهم، وخاصة في الإبل والخيول، ولا يزال من بقي منهم يلهجون بالدعاء لرشيد بن ليلى بالشام، كما يذكرون فوزان السابق بمصر، لمساعدتهم وتسهيل تنقلاتهم ورعاية مصالحهم جميعًا[٣٢].

وأورد أحمد الفهد العريفي ملخصًا مما أورده الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته (ج٣، ص١٢٦) فقال: وورد في "ذكريات الشيخ علي الطنطاوي" - رحمه الله - ما ملخصه[٣٣]: ياسين الروّاف، أول ممثل لجلالة الملك عبدالعزيز في دمشق، ولم تكن للمملكة سفارة ولا مفوضيّة بل كانت تسمى المعتمدية، ثم عين في الوظيفة أخوه الشيخ عيد، ثم رشيد باشا، وأظن أنه كان في الأصل من جماعة ابن رشيد أمير حائل، ولكن الملك عبدالعزيز على طريقته في تألف أعدائه يوليهم الثقة فيعطونه الإخلاص، وكذلك خلفه الشيخ عبدالعزيز بن زيد كان أيضًا من جماعة ابن رشيد، وكلاهما تشرفت بصداقته. أزوره دائمًا مع شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار، ووثّق الصداقة أني لم أكن أريد من أحدهما شيئًا، ولا أطلب منه طلبًا، ولقد كف بصر رشيد باشا في أواخر أيامه، ولم يعد يرى، ذهب بصره ولكن قويت بصيرته، وكنت أدخل عليه أحيانًا مع الشيخ بهجة فلا أسلم ولا أتكلم فيوجه إليَّ الخطاب باسمي حيث أكون جالسًا.

(٣٢) رجال في الذاكرة، مرجع سابق، ٢/ ١١٣-١١٤.

(٣٣) أحمد العريفي، علماء لبدة، ١٤٢٥هـ، ص٣٨.

إن تعيين الملك عبدالعزيز رشيدَ بن ليلى قنصلاً إدراك منه بثاقب فكره أن ابن ليلى يفضل أي عمل خارجي يسند إليه، وهو الذي قضى أكثر من نصف عمره خارج البلاد.

كما أن جلالته كان يدرك أن ابن ليلى رجل سياسة؛ ولذا فإنه يفيد الدولة خارجها أكثر.

مصادر ذكرته:

عرف به الأرشيف الإنجليزي قبل انتصار الملك عبدالعزيز على إمارة ابن رشيد، وضم حائل. فجاء في وثائقه ما يلي: رشيد بن ليلى: أول ما سمع به في نحو المحرم ١٣٣٥هـ (نوفمبر ١٩١٦م) حين زار عجيمي السعدون بصفته وكيل ابن رشيد، يحرسه نحو (٣٠) جنديًا تركيًا. وفي صفر ١٣٣٥هـ (ديسمبر ١٩١٦م) اشترى بعض التجهيزات في النجف، لكن لم يستطع ترتيب مرور آمن لها لنقلها إلى حائل بين العشائر النازلة في طريقه. منحه الأتراك لقب باشا لضمان اهتمامه بدعايتهم. وكان عظيم النفوذ في حائل حاضرًا في المعركة بين قوات ابن رشيد وقوات الشريف قرب الحناكية، ولو أنه من غير المؤكد إذ كان الأمير نفسه حاضرًا. وقدم إلى مدائن صالح مع الأمير في شوال ١٣٣٥هـ (أغسطس ١٩١٧م)، ثم مضى بعد مدة قصيرة إلى الآستانة وعاد إلى دمشق في غرة جمادى الأولى ١٣٣٦هـ (١٢ فبراير ١٩١٨م)[٣٤].

(٣٤) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مرجع سابق، ٣/ ٤٩٤ (الهامش ١).

وفاته:

توفي - رحمه الله - في دمشق في ١٣٦٢/٣/٢٧هـ - ١٩٤٣/٤/٢م، ودفن في مقبرة الباب الصغير[٣٥].

أولاده وأحفاده:

له من الذكور أربعة أولاد:

١ - عبدالله الذي تخرج من جامعة لوزان بسويسرا، ختم حياته العملية بأن عمل مساعدًا لمندوب المملكة الدائم في الأمم المتحدة بنيويورك، وله ابنان هما: د. رشيد الذي عمل أستاذًا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وهو مقيم حاليًا في أمريكا، وأخوه صالح، وبنتان. وقد توفي عبدالله سنة ١٣٩٢هـ.

٢ - محمد[٣٦] الذي تخرج أيضًا من الجامعة نفسها التي تخرج منها أخوه عبدالله، وعمل سفيرًا للمملكة في

(٣٥) من رجال الشورى في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص٥٤.

(٣٦) نشرت جريدة صوت الحجاز في عددها (٥٢٨) الصادر يوم الأحد ٢ ذي القعدة ١٣٥٩هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٤٠م الخبر الآتي: "نجاح طالب سعودي: نشرت جريدة الأهرام الغراء في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ٥٩ [١٣هـ] لمراسلها الخاص في جنيف هذه الكلمة: "اجتاز السيد محمد الرشيد نجل رشيد باشا قنصل المملكة العربية السعودية العام في دمشق امتحان الدكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية بنجاح باهر في جامعة لوزان. وقد درس السيد محمد في لوزان على نفقة جلالة الملك بن السعود، وهو أول سعودي حصل على دكتوراه العلوم السياسية. أما رسالته التي تقدم بها فهي (تاريخ العرب الدبلوماسي)".

إحدى الدول الإفريقية، وله ولدان: عبدالعزيز ورشيد، وبنت واحدة.

٣ – إبراهيم، عمل بالتجارة بين الشام والمملكة العربية السعودية، وله عشرة أبناء هم: الدكتور المهندس ناصر المستشار بالديوان الملكي سابقًا والأستاذ السابق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، والدكتور رشيد أستاذ بجامعة الملك فهد أيضًا، وأحمد وعبدالعزيز وصالح وخالد وعمر وأنور وعبدالله وعبدالكريم وسبع بنات. وقد توفي إبراهيم سنة ١٤٠٣هـ.

٤ – عثمان، عمل بالتجارة أيضًا، وله من الأبناء د. يوسف الذي عمل أستاذًا بجامعة الملك فهد ثم في أرامكو، والمهندس عبدالرحمن، وفائز، وعبدالكريم، وأربع بنات، وقد توفي عثمان سنة ١٤١٤هـ.

٥ – أحمد، توفي شابًا بدمشق.

أما بنات الشيخ رشيد فهن ست بنات، الأولى هياء، والثانية شماء، والثالثة سلمى، والرابعة فاطمة(٣٧)، والخامسة عائشة، والسادسة ممدوحة، والأخيرتان ولدتا في إسطنبول بتركيا عندما كان الشيخ رشيد معتمدًا لآل رشيد لدى الحكومة العثمانية(٣٨).

(٣٧) فاطمة هي والدة الأستاذ فهد العلي العريفي – رحمه الله –؛ الذي شغل منصب مدير عام مؤسسة اليمامة الصحفية سابقًا، والكاتب المعروف، وهو من روى هذه الرواية لي قبل وفاته، ثم أضاف إليها ولده الأستاذ أحمد بن فهد العلي العريفي بعض المعلومات في خطاب أرسله لي بتاريخ ١٥/٤/١٤٢٨هـ.

(٣٨) رشيد بن ليلى: ممثل الملك عبدالعزيز في دمشق، مرجع سابق، ص٤٦؛ رجال في الذاكرة، مرجع سابق، ٢/ ١١٤–١١٥.

٢ - عبدالله بن حمد النفيسي: معتمد الملك عبدالعزيز في الكويت (١٢٧٨ - ١٣٦١هـ / ١٨٦١ - ١٩٤٢م)

مولده ونسبه:

هو عبدالله بن حمد بن عبدالرحمن النفيسي، ولد بالرياض سنة ١٢٧٨هـ تقريبًا، وتعلم القراءة والكتابة في كتاتيبها، وعاش بها شطرًا من شبابه[٣٩].

أسرته وأقاربه:

كانت أسرته تقطن قرية أبالكباش قرب الدرعية، وكانوا حلفاء آل سعود أمراء الدرعية آنذاك، وكان عملهم في تجارة الأغنام، فكانوا يبيعونها لأشراف مكة كل عام في مواسم الحج أيام النحر، ثم استوطنوا الدرعية بعد ذلك، ثم تحولوا إلى الرياض بعد خراب الدرعية[٤٠].

وهم مع ذلك كانوا أبطال حروب، مشهورين بالشجاعة والبطولة، وذُكِرَ منهم عدة أبطال:

١ - حمد النفيسي الذي يروى أنه تولى قتل إبراهيم بن حمزة في ظلمة الليل بالقصر في الرياض بعد أن أوشك على قتل عبدالله بن علي بن رشيد.

٢ - إبراهيم بن عبدالرحمن النفيسي الذي كان أحد رجال الملك عبدالعزيز في استرداد الرياض، وهو عم المترجَم له.

---

(٣٩) المرجع السابق، ٤/١٤٦.

(٤٠) محمد سليمان النفيسي، تعقيب على مقالة عبدالله النفيسي، لمحمد القشعمي، المجلة العربية، ٣ المحرم ١٤٢٣هـ، ع ٣٠٠، ص٢-٣.

٣ - محمد بن عبدالرحمن النفيسي أخو إبراهيم السابق ذكره، قال فيه الملك خالد بن عبدالعزيز لحمد بن محمد النفيسي: "أشجع الشجعان"، وقد قتل محمد هذا في وقعة أم العصافير قرب المجمعة سنة ١٣٠١هـ، حيث كان مع الإمام عبدالله بن فيصل (عم الملك عبدالعزيز) في تلك الوقعة.

٤ - سليمان بن محمد بن عبدالرحمن النفيسي: خرج من الكويت مع مَنْ خَرَجَ مَع الشيخ مبارك الصباح والإمام عبدالرحمن الفيصل لقتال ابن رشيد في موقعة الصريف سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، وقتل فيها[٤١].

٥ - عبدالله النفيسي: وهو جد المترجم له، كان من خاصة رجال الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله، ومن رجاله الميامين، وكان معه في أثناء اعتقاله سنة ١٢٥٤هـ، من قبل القوات التركية - المصرية، ونفي معه إلى القاهرة، ومكث فيها أكثر من خمس سنوات، ولما أطلق سراح الإمام فيصل سنة ١٢٥٩هـ، ومنّ الله عليه واستعاد ملكه في السنة نفسها، عيَّن عبدالله النفيسي أمينًا على بيت ماله[٤٢].

سفره إلى الكويت وعمله فيها:

غادر عبدالله النفيسي وأبوه وأسرته نجدًا متجهين إلى الكويت واستقروا بها عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، واستوطنوا (فريج العوازم في البداية، وما لبثوا أن تحولوا إلى الحي القبلي، في محلتهم المشهورة باسمهم (سكة النفيسي) حيث بيوتهم وديوانهم،

(٤١) المرجع السابق، ص٣-٤.

(٤٢) المرجع السابق، ص٢.

وبعد نحو عشر سنوات نزلت الأسرة السعودية ضيفة كريمة على الشيخ مبارك الصباح، وعلى آل النفيسي، وسكنوا في محلتهم، في منتهى سكة النفيسي، خلف مسجد ابن بحر، وكان آنذاك يعرف ببيت الإمام عبدالرحمن الفيصل[٤٣].

عمل عبدالله مع أبيه وأخيه محمد في تجارة الخيل ونقلها إلى الهند، وفي المقابل كانوا يشترون البضائع الهندية لبيعها في الكويت، مثل عقل الشطفة والمقصبة (الزري) وغيرها، كما مارس النفيسي بعد ذلك تجارة اللؤلؤ (الطواشة) وغير ذلك.

ثم اتخذ عبدالله متجرًا صغيرًا في الكويت، وكان المتجر ابتداءً لأبيه، وكان يبيع فيه مؤونة أهل البادية ومستلزماتهم، مثل: العيش والشاي والسكر والإقط والدهن والتمر، والعصي والغتر. وكان الشيخ حمد - والد عبدالله - يقضي لوازم آل سعود من خلال هذا المتجر الذي كان في السوق الداخلي[٤٤].

لقاؤه الملكَ عبدالعزيز:

حين أقام آل سعود في الكويت، توطدت العلاقة بين عبدالله النفيسي والفتى الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (الملك)، الطامح لاستعادة مجد أبائه وأجداده وملكهم[٤٥]. فما كان من عبدالله النفيسي إلا أن أصبح من رجاله.

وكيل الملك عبدالعزيز في الكويت:

لم ينس الملك عبدالعزيز جهد عبدالله النفيسي وعلاقته بعد أن تم له النصر، فمنحه مهمة تمثيله في الكويت سياسيًا

(٤٣) المرجع السابق، ص١١.
(٤٤) المرجع السابق.
(٤٥) رجال في الذاكرة، مرجع سابق، ص١٤٦.

وتجاريًا، دون قيد أو شرط، وظل كذلك حتى توفي - رحمه الله -، واستمرت الوكالة في ابنه عبدالعزيز بن عبدالله النفيسي، وظل يشغلها أيضًا حتى وفاته(٤٦)، ثم تولاها بعده ابنه فهد بن عبدالعزيز النفيسي، إلى أن تنازل عن المنصب باختياره وإرادته.

وأصبح بيت النفيسي هو دار الضيافة لكل ضيوف عبدالعزيز المارين بالكويت، بل وللكثير من أهالي نجد، وما زال النفيسي إلى اليوم - وما أكثرهم - يقيمون في الكويت، ويعدون أنفسهم من أبناء البلدين الشقيقين معًا... يعيشون في الكويت وكأنهم بالرياض موطنهم الأول. وما زال بيت جدهم الأول حمد النفيسي موجودًا بالرياض ويسمى إلى اليوم بيت النفيسي(٤٧).

أعماله في الكويت:

لقد قام النفيسي من خلال منصبه وكيلاً للملك عبدالعزيز بأداء مهمات السفارة في الكويت، ولكن هناك بعض الأعمال التي تذكر له في المصادر المختلفة:

---

(٤٦) ذكرت بعض المصادر، مثل موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي (ص٥٧١) أن عبدالله النفيسي عمل ممثلاً للحكومة السعودية منذ ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م (سنة دخول الملك عبدالعزيز الرياض) حتى وفاته. فيما ذكرت بعض المصادر أنه أول وكيل تجاري سعودي في الكويت ابتداءً من عام ١٣٤١هـ/١٩٢١م. ومن التوفيق بين المصادر يظهر أن عبدالله النفيسي كان ممثلاً ومعتمدًا للملك عبدالعزيز منذ استرداد الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م. ولكن التوكيل والاعتماد صار رسميًا سنة ١٣٤١هـ/١٩٢١م. انظر: أحمد بن عبدالله النفيسة، الإعلام بما لآل نفيسة من تاريخ وأعلام، ١٤٢٥هـ، ص١٩١.

(٤٧) المرجع السابق، ص١٤٣.

١- مساهمته في حصار حائل:

عندما حاصر الملك عبدالعزيز حائل سنة ١٣٣٧هـ ستة أشهر احتاج الجيش السعودي إلى بعض المؤن المختلفة، فقام عبدالله النفيسي بتأمين اللوازم بناء على أمر الملك. وقد ذكر ذلك حسين خزعل بقوله: "خشي الأمير عبدالعزيز السعود أن تطول مدة الحصار لحائل لمناعتها وتنقص عنده المؤونة والطعام فأرسل بتاريخ ٥ رجب ١٣٣٩هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٢١م قافلة من أهالي الزلفي، وكتب معها كتابًا إلى عبدالله النفيسي والرباعي يطلب منهما تزويده بالطعام، ويقول لهما إذا ما احتاجا إلى المال فليراجعا الشيخ أحمد، كما كتب إلى أحمد الجابر يطلب منه مساعدة النفيسي إذا ما احتاج إلى المال وأنه سيحول له المبلغ عن طريق البحرين..."، ثم أورد المؤلف كتابًا من الشيخ أحمد الجابر إلى الشيخ خزعل: "... الجماميل الذين عمدهم حضرة المدعي إليه وصلوا إلى بلدتكم الكويت ودفعنا المبلغ المرقوم مع العيش بيد عبدالله النفيسي وبعد التاريخ بيومين عزم الجماميل يمدون تاريخ ٢٥ رجب ١٣٣٩هـ"(٤٨).

٢- تمثيله الخاص للفئات القبلية:

رغم أن السلطان عبدالعزيز كان يعتمد عليه في كثير من الأمور المهمة والمعقدة، فهذا سانت جون فلبي يقول: عندما بدأت الخلافات بين سلطان نجد والحكومة البريطانية بسبب تنقلات ومناوشات واعتداءات القبائل على الكويت والعراق؛ حاولت بريطانيا ممثلة بالعقيد هاملتون وضع الترتيبات

(٤٨) المرجع السابق، ص١٩٢.

الكفيلة بإزالة هذه الأسباب والقضاء على دابر الخلاف بإيقاف الاعتداءات، وكان فلبي هو المعني بإنهاء هذه المشكلة من قبل السلطان عبدالعزيز إلى جانب هاملتون ممثل المعتمد البريطاني بالخليج، فيقول: "... وكان واضحًا لي، على أية حال أن خطأ ما قد حدث. وخوفًا من حدوث اضطرابات في التأخير شعرت أنه لم يعد أمامي إلا أن أعطي نيابة عن السلطات في الكويت، ضمانات معينة بالنسبة للمستقبل. وبناء على ذلك رتبت مع ابن سعود أن كل القوافل النجدية يجب أن تصحب بمبعوثين خاصين منه، وأنه يجب أن يعين وكيله في الكويت عبدالله النفيسي، ممثلاً خاصًا بالنسبة للفئات القبلية التي ليست في وضع يمكنها من القدوم لتدبر وفودها الخاصة، مثل قبائل شرق الجزيرة العربية كمطير وسبيع، وأن جميع قوافل المدن العادية يجب أن تحمل تصريحات مرور موقعًا عليها من الأمراء المحليين، وقد أرسلت هذه الترتيبات فورًا إلى الوكيل السياسي في الكويت، مؤكدًا لابن سعود في الوقت نفسه، أن القوافل التي ردت من قبل يمكنها الآن أن تعود لتحضر إمداداتها، التي لن تمنع منها، بشرط أن تراعي تمامًا الترتيبات الخاصة بتصريحات المرور والمندوبين..."(٤٩).

٣ - الاعتماد عليه في أمور خارج الكويت:

كان الملك عبدالعزيز يكلف عبدالله النفيسي بمأموريات خارج نطاق عمله معتمدًا في الكويت، فقد جاء في ترجمة

(٤٩) محمد القشعمي، عبدالله النفيسي، معتمد ووكيل الملك عبدالعزيز بالكويت، المجلة العربية، ع٣٠٠، (المحرم ١٤٢٣هـ)، ص٦١. وانظر: جون فيلبي، بعثة إلى نجد، ١٤١٨هـ، ص١٤١-١٤٤.

خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى المعتمد السياسي في البحرين مؤرخ في ٢٦ شعبان ١٣٣٨هـ/ مايو ١٩٢٠م.

"بالنسبة إلى صديقنا عبدالله بن حمد النفيسي وكيلنا في الكويت، لقد زارني أخيرًا وفقًا لأوامري، وبحثت معه مسألة فتح ميناء في جبيل، وقد غادر إلى طرفكم، وسيتفقد موانئنا الساحلية بقصد اختيار ميناء مناسب، كما سيزور البحرين والكويت. أرجو التكرم بمنحه رسائل تقديم وما يلزم من مساع حميدة، ومساعدته في رحلاته ذهابًا وإيابًا، ومنحه سكنًا مُناسبًا على متن السفينة..."(٥٠).

النفيسي يغادر الكويت:

في عام ١٣٣٩هـ نشب خلاف بين نجد والكويت، جعل النفيسي يغادر الكويت، وقد أورد حسين خزعل تلك القصة: "عبدالله النفيسي هو من النجديين القاطنين الكويت. وكان الأمير عبدالعزيز السعود قد جعله معتمدًا له في الكويت في جميع قضاياه وقضايا أهالي نجد وغيرها التابعين له. ولما نشب الخلاف بين نجد والكويت، توجس عبدالله النفيسي شرًا، وخشي عاقبة المصير فأراد أن يترك الكويت. فاستأذن الشيخ سالم بذلك، فلم يأذن له بل طمأنه ووعده بأنه سيشمله برعاية خاصة، ولكن عبدالله أصر على ترك الكويت مدعيًا أن الأمير عبدالعزيز قد أمره بذلك، فأذعن الشيخ سالم لطلبه، بعد أن اشترط عليه أن يكتب له وثيقة تتضمن

---

(٥٠) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، (نجد والحجاز)، مرجع سابق، ٥/٢٢٧.

إقراره بأن مغادرته الكويت كانت من تلقاء نفسه، وأنه لم يجبر عليها. فكتب الوثيقة الآتية: "بسم الله الرحمن الرحيم، نعم أنا عبدالله بن أحمد [حمد] النفيسي سافرة [سافرت] من الكويت من أمر الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى بندر البحرين ومنه أتوجه إلى الجبيل ومدة إقامتي ووقت سفري ما شاهدة [شاهدت] شيء [ًا] أكره وللبيان أعطيت هذه الورقة الشيخ سالم المبارك الصباح، جرا في ٢٠ ذي الحجة ١٣٣٨هـ. عبدالله بن أحمد النفيسي"(٥١).

وفي السنة نفسها دعاه الملك عبدالعزيز وعرض عليه إمارة الجبيل فاعتذر من قبول ذلك مؤثرًا العمل الحر، فطلب منه الملك أن يسافر إلى الجبيل وينصب عليها أميرًا من قبله فرحل إليها وفعل ما أمر الملك، وبعد سنة من إقامته في الجبيل سافر إلى الرياض ليستأذن من الملك في فتح عمل تجاري له في الجبيل وعند وصوله الرياض صادف قدوم الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت الحالي [آنذاك] مندوبًا من قبل حاكم الكويت إذ ذاك، المرحوم الشيخ سالم المبارك، لإتمام الصلح بين نجد والكويت، وفي أثناء المفاوضات وصل نعي الشيخ سالم رحمه الله إلى الرياض، وبعد أن تكللت المفاوضات بالنجاح طلب صاحب السمو المعظم من جلالة الملك أن يسمح باصطحاب النفيسي معه إلى الكويت، فرجع إلى الكويت وكان اختيار الشيخ أحمد

(٥١) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ١٣٨٢هـ، ٣/٢٣٩-٢٤٠.

الجابر له دليلاً لحب الكويتيين لهذه الشخصية المخلصة، فقد كان - رحمه الله - يتمتع بثقة الكويتيين لما يعرفون عنه من طهر سريرة وصلاح ونبل وشرف، وما يكنه لوطنه الكويت من إخلاص، وخلفه أبناء نجباء أولاهم جلالة الملك عبدالعزيز ثقته من بعد والدهم - رحمه الله - تقديرًا منه لهذه الأسرة الطيبة[٥٢].

وبعودته تلك مع الشيخ أحمد الجابر الصباح أصبح عبدالله النفيسي رسميًا الوكيل المعتمد التجاري والسياسي للملك عبدالعزيز في الكويت واستمر في منصبه حتى وفاته.

وفاته:

توفي عبدالله النفيسي عام ١٣٦١هـ، وقد تأثر الملك عبدالعزيز لوفاته، وحزن عليه حزنًا شديدًا، وبعث ببرقية عزاء إلى أهله وذويه جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، نعزيكم بوفاة المرحوم الشيخ عبدالله النفيسي، وأنتم يا آل نفيسي في مكان والدكم". وبعد مدة أرسل ابنيه الأميرين/ سعودًا وخالدًا [الملكين فيما بعد] إلى الكويت لتقديم التعازي بوفاته[٥٣].

أولاده:

للشيخ عبدالله تسعة من الأبناء الذكور وعدد من الأحفاد[٥٤].

---

(٥٢) خالد سعود الزيد، سير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية، ١٩٨٣م، ص١٠٢.

(٥٣) الإعلام بما لآل نفيسة من الأعلام، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٥٤) المرجع السابق، ص١٩٣-١٩٦.

٣ - عبدالله بن محمد الفوزان: وكيل الملك عبدالعزيز في الهند (١٢٧٨ - ١٣٧٩هـ / ١٨٦١ - ١٩٦٠م)

نسبه:

هو عبدالله بن محمد الفوزان، ولد في عنيزة بالقصيم، وبها نشأ، ثم غادر إلى الهند وهو في السابعة عشرة بصحبة والده محمد بعد أن تزوج من ابنة عمه، حيث كان يتاجر بين نجد والعراق والهند. استقر في الهند ليتيح لوالده الاستقرار ومتابعة أعماله في نجد، ليزوده بمتطلباته التجارية مجنبًا إياه مشقة السفر وعناءه. توفي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، في بومبي بالهند، ودفن هناك، بعد أن ناهز المئة عام(٥٥).

الفوزان وكيلاً للملك عبدالعزيز:

كان الفوزان يرتبط بالملك عبدالعزيز بعلاقة قوامها المحبة والإخلاص، والوفاء منقطع النظير، حتى عرف عنه – رحمه الله –، أنه إذا أراد أن يتقرب منه أحد لحاجة يمتدح الملك عبدالعزيز – رحمه الله –، كما أنه كان يغضب للملك عبدالعزيز. لقد نذر – رحمه الله – نفسه وماله لخدمة الملك عبدالعزيز، ولم يكن يمثله بصفة رسمية، ولكن بالتأكيد كان يمثله في كل ما يتعلق بالملك عبدالعزيز أو الدولة السعودية سواء شخصيًا أو رسميًا. كما تعرض لمخاطر شخصية في سبيل ذلك بسبب البدع والخزعبلات في الهند(٥٦).

(٥٥) خطاب مرسل إلي بالناسوخ (الفاكس) من حفيده طارق بن علي الفوزان، بالكويت بتاريخ ١٨/٤/٢٠٠١م.

(٥٦) المرجع السابق.

كما أنه - رحمه الله - قد التقى الملك عبدالعزيز في الحجاز، كما التقى بالملك سعود، وكذلك بالملك فيصل في الهند حين كان وزيرًا للخارجية في عهد والده[٥٧].

التواصل مع زعماء الهند وأهلها:

كان عبدالله الفوزان دائم التواصل مع زعماء الطوائف الدينية في الهند، وذلك لشرح أهداف الملك عبدالعزيز وأعماله التصحيحية، ولتقريب وجهات النظر، ولا سيما أن الدولة السعودية كان يهمها أمر المسلمين بالهند حيث يشكلون كتلة لا يستهان بها. ناهيك عن الاعتماد والاعتداد بالمورد المادي الكبير من حجاجهم لدولة ناشئة.

كما كان - رحمه الله - عبر المراسلات والبرقيات على اتصال دائم بالملك عبدالعزيز يحيطه علمًا بأحوالهم وأمورهم، ويعرفه بمحبيه ويحذره ممن لهم توجهات وأفكار مخالفة.

أما ما قدمه - رحمه الله - للهند فكان دومًا يتلمس حاجات المسلمين ويسعى في تحقيقها بعرضها على الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، بل تجاوز ذلك إلى خدمة حجاج الصين الذين وصلوا إلى الهند على غير هداية آملين الحج وقصدوا عبدالله الفوزان - ممثل الملك عبدالعزيز - ليسعى لهم باستخلاص إذن بالدخول إلى الأراضي السعودية، وتم لهم ذلك.

(٥٧) المرجع السابق.

وآخر ما قدمه لهم - وهذا سر الشعبية التي يحظى بها في الهند - هو تشريف الملك له بتعيين ابنه يوسف(٥٨) سفيرًا للمملكة بالهند، حيث وجدوا فيه ابنًا للهند ومتفهمًا لحاجاتها وخير من يعرض قضايا المسلمين فيها، بل وأكثر من السفير الهندي نفسه في المملكة، كما شهد بذلك زعيم الهند ورئيس وزرائها جواهر لال نهرو أثناء اجتماعه بالملك فيصل - رحمه الله -(٥٩).

مساعدة السعوديين المسافرين إلى الهند:

تحدث حمد الجاسر في معرض حديثه عن البعثات الأولى للدراسة في مصر، ذاكرًا الشيخ عبدالله الفوزان، فقال:

(٥٨) يوسف بن عبدالله الفوزان: جاء في (موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي): يوسف عبدالله الفوزان: سفير المملكة في إيران، وكانت بدايته قنصلاً عامًا عند تأسيس القنصلية فيها، حيث صدر أمر ملكي بتعيينه في ١٦ صفر ١٣٥٠هـ، ثم هو أول قنصل للمملكة في بومباي (الهند) (الموسوعة، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، القسم الثالث: الأعلام، ص٦٤٩). كما ورد خبر تعيينه وإنشاء القنصلية في فلسطين في جريدة صوت الحجاز، فجاء فيها: "تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بإصداره إرادته الملكية المكرمة بإنشاء قنصلية عامة للمملكة العربية السعودية بفلسطين وتعيين حضرة الشيخ يوسف فوزان قنصلاً عامًا لها..." صوت الحجاز، س١٠ (١ ربيع الأول ٦/١٣٦٠ أبريل ١٩٤١م) ص١.

(٥٩) فاكس من حفيده طارق الفوزان. ويذكر أن رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو عند زيارته للمملكة قبل (٤٠) عامًا قال للأمير [الملك] فيصل رئيس مجلس الوزراء وقتها: "خذوا أبو الكلام آزاد [وزير التعليم والثقافة الهندي] لأنه من مواليد مكة المكرمة، وأعطونا يوسف بن عبدالله الفوزان لأنه من مواليد الهند، وابن عمدة تجار بومبي". وكان يوسف وقتها سفيرًا للمملكة بالهند.

"وممن كان لهم أثر في ابتعاث بعض أولئك الشبان الشيخ عبدالله الفوزان الذي كان من أشهر تجار العرب في الهند، وهو أبو الشيخ يوسف الذي كان سفيرًا حتى توفي، وكانت صلة الشيخ عبدالله بالملك عبدالعزيز قوية، فقد بعث محمد السليمان الحمدان للعمل في الديوان، وكان محمد وأخوه عبدالله يعملان في مكتب ابن فوزان في الهند قبل ذلك، ولما توفي محمد بعث ابن فوزان عبدالله (الشيخ عبدالله السليمان) بطلب من الملك عبدالعزيز - رحمهم الله - فعمل في الديوان فترة قصيرة ثم انتقل للعمل في إدارة المالية - وزارة المالية فيما بعد - في مكة"(٦٠).

كذلك يذكر عبدالله بن سليمان الحمدان - وزير المالية الأسبق - في مقال له في صحيفة البلاد السعودية أنه غادر عنيزة إلى البصرة حيث أخوه محمد، ثم أرسله أخوه إلى بومبي بالهند "عند الشيخ عبدالله الفوزان، التاجر الكبير بها، هو من بلدتنا [عنيزة] وهو رجل كريم الأصل طيب العنصر، ما قصر معي، بل أحلني من نفسه محل أولاده، وكان ينبهني ويهديني إلى الصواب دائمًا، فكان عمله هذا حافزًا لي على الجد والنشاط"(٦١). ويذكر كذلك أن الشيخ عبدالله الفوزان قد رتب له مرتبًا شهريًا.

(٦٠) حمد الجاسر، البعثات الأولى للدراسة بمصر، مجلة العرب، س١٧، ع٣+٤ (رمضان - شوال ١٤٠٢هـ / يونيو - يوليو ١٩٨٢م) ص٢٠٥.

(٦١) حياة معالي وزير المالية بقلمه، صحيفة البلاد السعودية، ع٩٧١ (الأربعاء ١٨ صفر ١٣٧٠هـ/٢٩ نوفمبر ١٩٥٠م) ص٣.

ويشير د. علي إبراهيم الخليف الأستاذ بجامعة الملك سعود، والكاتب بجريدة الرياض عن والده إبراهيم أنه سافر إلى بومبي في الهند ووصل إلى أحد التجار وكان يعرفه فسلم عليه وعلى من كان بمجلسه فوجد واحدًا يلبس جبة ويضع فوق رأسه عمامة فاعتقد أنه من أبناء الهند وفوجيء به يسأله: الأخ من وين؟ فرد عليه: من المملكة. قال: أعرف! ولكن من أي منطقة بالمملكة؟ فأجابه: من نجد. فرد عليه: من أي بلد من نجد؟ قال: من عنيزة. فرد عليه: أعرف أنك من عنيزة! من أي حارة؟ فقال: من (الخريزة) فقال: أنت ولد فلان - وذكر معيارته - أنتم اللي لبيتكم بابين باب على الحيالة (المزرعة)، والآخر على السوق وجيرانكم الفلان. قال: نعم. فرد عليه مؤكدًا: وترى مطقة الباب حافرة بالخشب بشكل قوي. فتعجب من ذاكرته رغم مضي سنوات طويلة لم ير فيها عنيزة. فيقول إبراهيم الخليف: فبمجرد عودتي لعنيزة ذهبت إلى (مطقة) الباب وإذا هي كما وصفها الفوزان. فهذا يدل على ذاكرة قوية عجيبة.

ويذكر د. عبدالملك بن دهيش أن والده عند ذهابه للهند لطلب العلم وجد لدى الفوزان مضافة يسكن بها جميع من يأتي من المملكة وغيرهم.

نشاطه التجاري:

كان نشاطه التجاري الاستيراد والتصدير، حيث يستورد من العراق التمور، ويصدر إلى نجد جميع أنواع المؤن وما يطلبه التجار المتعاملون معه. ومن أبرز التجار الذين تعامل

معهم في الهند أو الجزيرة العربية: آل الفضل، والقاضي، والبسام، وآل السليمان، والغانم، وآل زينل، كما تعامل مع علي حمود الشايع، وحسين بن عيسى وكلاء آل الصباح من الكويت، وجاسم الزياني من البحرين، وعبدالمنعم الزواوي من عمان(٦٢).

حبه لبلده عنيزة:

مر معنا ما ذكره علي الخليف عن والده إبراهيم وتذكره لبيوت عنيزة بتفاصيلها الدقيقة بعد سنوات طويلة، كما يقول الأستاذ إبراهيم العبدالله التركي نقلاً عن الراوية الشهير إبراهيم الواصل: كان يحب نجد حبًا جمًا ولا يرضى أن ينالها أحد بسوء حتى ولو من باب المزاح، وعنيزة على وجه الخصوص. كما يقال عنه أنه سافر من بومبي إلى كراتشي وحل ضيفًا على التاجر المرزوق من أبناء الكويت، وكان من عادة التجار هناك أن يخصصوا مكانًا أو جزءًا من منزلهم أو منزلاً خاصًا باسم الضيافة يسكنه من يستضيفونه ممن لا يقيمون في البلد سواء من أقاربهم أو من أبناء بلدتهم. وكان يتناول مع ضيفه ومجموعة أخرى طعام الغداء، وكان ضمن المائدة لحم فوجد أن طعمه لذيذ فأشاد به. فقال له محمد المرزوق - زوج ابنته رقية -: هذا لحم كراتشي أفضل من لحم بمبي وكأنه لحم نجد، قالها بشيء لمس منه أنه يتهكم، ثم أكمل قائلاً: إن الجوع يجعل أي طعم للأكل لذيذًا. فأحس أنه يلمز نجد، فرمى بلقمته بالصحن وقام يهم بالانصراف،

(٦٢) خطاب مرسل لي بالناسوخ (الفاكس) من حفيده طارق بن علي الفوزان، بتاريخ ١٨ /٤/٢٠٠١م.

لولا أن قام الجميع يترجونه ألا يتركهم؛ لأنها تعد إهانة أن يسكن في مكان آخر، فلامهم واختتم كلامه: إن الواحد إذا ترك بلده ووجد ما ينسيه، ما كان عليه أن يتنكر لماضيه وينسى ما يعيشه أمثاله هناك.

كما أن الوزير عبدالله بن سليمان الحمدان حاول أن يرد شيئًا من الجميل لمعزبه (معلمه) عبدالله الفوزان، فاستضافه بالحجاز وأكرمه بعد أن أدى فريضة الحج. وبلغ من شدة حبه لعنيزة أنه غادر الحجاز لزيارتها، وعند وصوله إلى الوادي - أحد أطراف عنيزة - عاد أدراجه قبل الوصول إليها. ولم يعرف سبب هذا التصرف، فمنهم من يقول إنه لم يحمل معه هدايا لمعارفه وأصدقائه الكثر ولهذا خجل من نفسه وعاد، ومنهم من يقول إن لوعة الفراق يقابلها لوعة اللقاء وشوقه، وأن قلبه المرهف لم يتحمل هذا المشهد المنتظر ولهذا عاد بحسرة!!

دموع وأشجان:

ذكرنا سابقًا أن الشيخ عبدالله الفوزان قد توفي - رحمه الله - سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م في بومبي بالهند ودفن هناك، وقد كتب الصحفي حسين بن محمد(٦٣) مقالاً من نيودلهي

(٦٣) حسين بن محمد: كنت قد ذكرت في هامش مقال لي نشر في المجلة العربية بعنوان: (عبدالله بن محمد الفوزان: معتمد الملك عبدالعزيز في الهند) ع٢٩٢، رجب ١٤٢٢هـ، ص١٠٢ - أنه من الأفلاج؛ وفي العدد ٢٩٩، (مارس ٢٠٠٢م) من المجلة العربية أيضًا، عقب صلاح بن إبراهيم الزامل بمقال قال فيه: حسين محمد آل سليمان من مواليد مدينة الحريق، ولد فيها ونشأ وتعلم مبادئ القراءة =

في جريدة القصيم[٦٤] بعنوان "دموع وأشجان"، يرثي فيه الشيخ عبدالله الفوزان يقول فيه: المواطن العربي الذي احتشد في جنازته ألوف المشيعون [هكذا!] من جميع الملل والنحل. توفي في أواخر ذي القعدة الماضي الشيخ العربي

= والكتابة، وفي بداية شبابه أصبح كاتبًا عند أحد قضاة الحريق وهو الشيخ حسن بن إبراهيم آل الشيخ، وانتقل إلى مكة المكرمة بعد ذلك ودرس في المعهد العلمي السعودي وتخرج فيه، وبعد مدة من الزمن عيّن في السفارة السعودية بالهند في الملحق الثقافي [الملحقية الثقافية] واستمر في هذا العمل إلى أن اعتدت عليه اليد الأثيمة في منزله. وقد رثاه الشيخ حمد الجاسر بمقال في مجلة العرب؛ لأنه من زملائه بالمعهد العلمي السعودي بمكة وأثنى عليه خيرًا. والأستاذ حسين بن محمد [آل سليمان] من بيت علم في الحريق، فالشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان المتوفى سنة ١٣٠٧هـ من أسرته، والشيخ حفيد الشيخ زيد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل سليمان قاضي البريمي أكثر من ثلاثين سنة وهو خال الأستاذ حسين، والأستاذ حسين - رحمه الله - هو عم الشيخ محمد بن زيد آل سليمان رئيس المحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية وعضو هيئة كبار العلماء، والشيخ محمد بن سليمان آل سليمان قاض بالمحكمة الكبرى بالدمام ورئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم فيها، وأسرة آل سليمان تنتسب إلى قبيلة عائذ وهي من أقدم الأسر سكنًا في الحريق. وكتب حمد الجاسر في السوانح (ط١، ١/ ٣٠٦-٣٨٠) يقول: حسين بن محمد آل سليمان، من الحريق. ثم كتب في الهامش: تخرج حسين من المعهد (العلمي السعودي)، وعين قارئًا للقرآن عند الملك فترة قصيرة في عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) قبل عبدالرحمن القويز. قتل حسين موظفًا في السفارة في الهند سنة ١٣٨٩هـ. (العرب، س٤، ص٨٩). ويبدو أن حسين بن محمد كان مراسلاً للصحف السعودية في الهند، فقد ورد في جريدة الجزيرة بعنوان: (من الواقع) وكتب تحته: من مراسلنا: حسين بن محمد (الجزيرة، س٤، ع٣، (صفر ١٣٨٣هـ/يونيو ١٩٦٣م)، ص٢٧، ٢٩).

(٦٤) جريدة القصيم، ع٣٤ (الثلاثاء ٩ صفر ١٣٨٠هـ/ ٢ أغسطس ١٩٦٠م)، ص٣.

الوقور محمد [عبدالله بن محمد][٦٥] بن عبدالله الفوزان، في مدينة بومباي، توفي عن عمر تجاوز المئة عام. ولسنا هنا نحاول الإسهاب في بيان مناقبه وسيرته المثالية الحميدة، في الدين والمروءة والخلق الكريم.

ويحدثنا التاريخ، كما في كتب المناقب "كصفوة الصفوة" لابن الجوزي - رحمه الله -: إن أحد الأئمة توفي فمشى في جنازته ألوف مؤلفة" من غير المسلمين، وهذا ما جرى بعينه للفقيد عبدالله الفوزان - رحمه الله وغفر له - إذ مشى في جنازته عدا المسلمين عدد لا يحصى من مختلف الديانات المنتشرة بالهند وليس هذا في المدينة نفسها بل قدم معزون من أهل الكتاب وغيرهم، من نواح أخرى، وقد عقد المجلس البلدي لمدينة بومباي جلسة خاصةً لتأبين الفقيد تبارى فيها الخطباء، من الأعضاء، قائلين بالإجماع أنهم يفخرون بإقامة هذا الزعيم، ووفاته في ديارهم، ونقول الزعيم، لأنه كان زعيمًا حقًا، وإن لم يشكل حزبًا.

أصدرت أكبر جرائد الهند التي تصدر باللغة الإنجليزية في بومباي في أحد أعدادها مقالاً ضافيًا عن الفقيد، عددت فيه مواقفه في القضايا العربية، وفي الأيام الحوالك أيام تألب المناوئين للبيت السعودي الكريم، ومقاومتهم لنشر العقيدة السلفية، كان الشيخ عبدالله الفوزان، وبعض إخوانه المخلصين يعدون حصنًا منيعًا، وجبلاً راسخًا لا تزعزعه الرياح حتى أحق الله الحق وأبطل الباطل.

(٦٥) ورد الاسم في الجريدة: محمد بن عبدالله، وصوابه: [عبدالله بن محمد].

وتحت عنوان "الأدب يسهم في التعزية بالفقيد"، كتب حسين بن محمد: الأستاذ السيد عمر أبو ريشة[٦٦] في غنى عن البيان أو التقدمة، وقد قال في رسالة خاصة: إنه لما بلغني النبأ، سمعتني أقول لنفسي: ما مات.. عبدالله في الخلد، فتناولت القلم وجمعت الحروف فإذا مجموعها - ١٣٧٩ - هذا شيء معجز لا أعرف له تأويلاً، تبارك الحق. وسجل ذلك بثلاث أبيات هي هذه:

دنياك كانت سورة الحمد   يا راقدًا في غيهب اللحد
الهند ضمتك إلى صدرها   ففازت الهند على نجد
ومكة قالت لمن أرخوا   ما مات، عبدالله في الخلد

وقطعة ثانية أيضًا للسيد عمر سجل بها ذلك الحادث بين رثاء وتاريخ، قال:

هنا انتهت زورته العابرة   راضية مرضية شاكرة
وما انطوى منه سوى هيكل   ذكراه تبقى بعده عاطرة
قال له تاريخه ملهماً   فوزان في الدنيا وفي الآخرة

تغمد الله الفقيد برحمته وأسكنه فسيح جناته"[٦٧].

أولاده:

عقب الشيخ عبدالله الفوزان ستة من الأبناء، وأربعًا من البنات.

---

(٦٦) عمر أبو ريشة: شاعر سوري معروف، من حلب، كان سفيرًا لبلاده في الهند وقتها، توفي في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. [محمد خير رمضان يوسف. معجم المؤلفين المعاصرين، ١/ ٤٧٣].

(٦٧) المرجع السابق.